حب الرئاسة

مُقَدّمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، نبينا محمد، وعلى آله، وأصحابه أجمعين.

أما بعد:

فإن مما يُفسد إخلاص القلب وتوحيده، ويزيد تعلقه بالدنيا، وإعراضه عن الآخرة: حب الرئاسة، فهو مرض عضال؛ تُنفَق في سبيله الأموال، وتُراق له الدماء، وتَنشأ بسببه العداوة والبغضاء بين الأخ وأخيه، بل الابن وأبيه؛ ولذا سُمي هذا المرض: بالشهوة الخفية.

وسنتناول هذا الموضوع الخطير بشيء من التفصيل، وذلك ببيان الأصل في تسمية حب الرئاسة بالشهوة الخفية، ثم بيان أهمية الولايات، وحاجة الناس إليها، وموقف المسلم منها، ثم نذكر صوره، ومظاهره، وأسبابه، وعلاجه.

ولا يفوتني أن أشكر كل من ساهم في إعداد هذه المادة، وإخراجها بالصورة المرضية.

واللهَ نسألُ للجميع العلم النافع، والعمل الصالح.

❊ ❊ ❊

تسمية حب الرئاسة بالشهوة الخفية

أصل هذه التسمية جاءت عن شداد بن أوس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال الزهري: تسجَّى شداد بن أوس بثوب، ثم بكى، وبكى، فقال له قائل: ما يبكيك يا أبا يعلى؟ قال: «إن أخوف ما أخاف عليكم الشهوة الخفية، والرياء الظاهر، إنكم لن تؤتوا إلا من قبل رؤوسكم، إنكم لن تؤتوا إلا من قبل رؤوسكم، إنكم لن تؤتوا إلا من قبل رؤوسكم، الذين إن أَمَرُوا بخير أُطيعوا، وإن أَمَرُوا بشر أُطيعوا، وما المنافق؟ إنما المنافق كالجمل، اختنق، فمات في رِبقِهِ، لن يعدو شرُّه نفسَه»[١].

وفسر الإمام أبو داود السجستاني رَحِمَهُ اللَّهُ الشهوة الخفية بحب الرئاسة، فقد سئل: ما الشوة الخفية؟ فقال: «حب الرئاسة»[٢].

والظاهر -والله أعلم- أن هذا من باب التفسير بالمثال، قال أبو عبيد رَحِمَهُ اللَّهُ: «الشهوة الخفية قد اختلف الناس فيها: فذهب بعضهم إلى شهوة النساء، وغير ذلك من الشهوات، وهو عندي ليس بمخصوص بشيء واحد، ولكنه في كل شيء من المعاصي، يضمره صاحبه ويصر عليه، وإنما هو الإصرار، وإن لم يعمله»[٣].

وقد اشتهر عند أهل العلم تفسير أبي داود للشهوة الخفية بحب الرئاسة، فصار علماً عليها، إلا لقرينة تبين خلاف ذلك.

---

(١) الزهد لابن المبارك (٢/ ١٦).

(٢) مجموع فتاوى ابن تيمية (١٠/ ٢١٥).

(٣) غريب الحديث (٤/ ١٧١).

قال ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «مما يبين أن الإنسان قد يخفى عليه كثير من أحوال نفسه فلا يشعر بها: أنَّ كثيراً من الناس يكون في نفسه حب الرياسة كامنا لا يشعر به، بل إنه مخلص في عبادته، وقد خفيت عليه عيوبه، وكلام الناس في هذا كثير مشهور؛ ولهذا سميت هذه: الشهوة الخفية»[1].

❊ ❊ ❊

(١) مجموع الفتاوى (١٦/ ٣٤٦).

حاجة الناس إلى الولاية

قال ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ولاية أمر الناس من أعظم واجبات الدين، بل لا قيام للدين والدنيا إلا بها، فإن بني آدم لا تتم مصلحتهم إلا بالاجتماع لحاجة بعضهم إلى بعض، ولابد لهم عند الاجتماع من رأس، حتى قال النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إِذا خَرَجَ ثَلاَثَةٌ فِي سَفَرٍ فَلْيُؤَمِّرُوا أَحَدَهُم**»[١].

فأوجب صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تأمير الواحد في الاجتماع القليل العارض في السفر؛ تنبيها بذلك على سائر أنواع الاجتماع، ولأن الله تعالى أوجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ولا يتم ذلك إلا بقوة وإمارة، وكذلك سائر ما أوجبه من الجهاد، والعدل، وإقامة الحج، والجمع، والأعياد، ونصر المظلوم، وإقامة الحدود، لا تتم إلا بالقوة والإمارة ... ويقال: ستون سنة من إمام جائر، أصلح من ليلة واحدة بلا سلطان. والتجربة تُبَيِّنُ ذلك»[٢].

فالناس -إذن- محتاجون في كل أمر من أمورهم العامة إلى من يدير هذا الأمر، ويرأس شئونه، ويتحمل مسئولياته، وتبعاته.

موقف المسلم من الولاية:

عن عبد الرحمن بن سَمُرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: قال لي رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**يا عَبدَ الرَّحمَنِ، لا تَسأَلِ الإمارَةَ، فَإِنَّكَ إِن أُوتِيتَها عَن مَسأَلَةٍ وُكِلتَ إِلَيها، وَإِن أُوتِيتَها مِن غَيرِ مَسأَلَةٍ أُعِنتَ عَلَيها**»[٣].

---

(١) رواه أبو داود (٢٦٠٨)، وحسنه الألباني.

(٢) مجموع الفتاوى (٢٨/ ٣٩٠).

(٣) رواه البخاري (٧١٤٧)، ومسلم (١٦٥٢).

قال أبو موسى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أقبلت إلى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ومعي رجلان من الأشعريين، أحدهما عن يميني، والآخر عن يساري، فكلاهما سأل العمل، والنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يستاك، فقال: «**يا أَبا مُوسَى -أَو يا عَبدَ الله بنَ قَيس-**»، قال: فقلت: والذي بعثك بالحق ما أطلعاني على ما في أنفسهما، وما شعرت أنهما يطلبان العمل! قال: وكأني أنظر إلى سواكه تحت شفته، وقد قلصت، فقال: «**لَن -أَو لا- نَستَعمِل عَلَى عَمَلنا مَن أَرادَهُ، وَلَكِن اِذهَب أَنتَ يا أَبا مُوسَى -أَو يا عَبدَ الله بنَ قَيس-**» فبعثه على اليمن[1].

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**إِنَّكُم سَتَحرِصُونَ عَلَى الإِمارَةِ، وَسَتَكُونُ نَدامَةً يَومَ القِيامَةِ، فَنِعمَتِ المُرضِعَةُ، وَبِئسَتِ الفاطِمَة**»[2].

قال ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ: «نِعمَ المرضعة؛ لما فيها من حصول الجاه، والمال، ونفاذ الكلمة، وتحصيل اللذات الحسية والوهمية حال حصولها، وبئست الفاطمة، عند الانفصال عنها بموت، أو غيره، وما يترتب عليها من التبعات في الآخرة»[3].

قال السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ: «الإمارة وغيرها من الولايات على الخلق، لا ينبغي للعبد أن يسألها ويتعرض لها، بل يسأل الله العافية والسلامة، فإنه لا يدري هل تكون الولاية خيرا له أو شرا؟ ولا يدري هل يستطيع القيام بها أم لا؟ فإذا سألها وحَرَصَ عليها؛ وُكِلَ إلى نفسه، ومتى وُكِلَ العبدُ إلى نفسه؛ لم يوفق، ولم يسدد في أموره، ولم يُعَن عليها؛ لأن سؤالها ينبئ عن محذورين:

الأول: الحرص على الدنيا، والرئاسة، والحرص يحمل على الريبة في التخوض في مال الله، والعلو على عباد الله.

والثاني: فيه نوع اتكال على النفس، وانقطاع عن الاستعانة بالله.

وأما من لم يحرص عليها ولم يستشرف لها، بل أتته من غير مسألة، ورأى من نفسه عدم قدرته عليها: فإن الله يُعينه عليها، ولا يَكله إلى نفسه؛ لأنه لم يتعرض للبلاء، ومن جاءه

---

(١) رواه البخاري (٦٩٢٣)، ومسلم (١٧٣٣).

(٢) رواه البخاري (٧١٤٨).

(٣) فتح الباري (١٣/ ١٢٦).

البلاء بغير اختياره حمل عنه، ووفق للقيام بوظيفته، وفي هذه الحال يقوى توكله على الله تعالى، ومتى قام العبد بالسبب متوكلا على الله نجح.

وفي قوله ﷺ: «**أُعِنتَ عَلَيها**» دليل على أن الإمارة وغيرها من الولايات الدنيوية جامعة للأمرين: للدين، والدنيا، فإن المقصود من الولايات كلها إصلاح دين الناس، ودنياهم.

ولهذا يتعلق بها الأمر، والنهي، والإلزام بالواجبات، والردع عن المحرمات، والإلزام بأداء الحقوق، وكذلك السياسة، والجهاد، فهي لِمن أخلص فيها لله، وقام بالواجب من أفضل العبادات، ولمن لم يكن كذلك من أعظم الأخطار، ولهذا كانت من فروض الكفايات؛ لتوقف كثير من الواجبات عليها»[1].

ولذا ففي أحوال خاصة يجوز طلب الولاية، كما في قوله تعالى -مخبراً عن قول يوسف عليه السلام لملك مصر-: ﴿قَالَ ٱجۡعَلۡنِي عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلۡأَرۡضِۖ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٞ﴾ [يوسف: ٥٥].

قال السعدي رحمه الله: «طلبها لهذه المصلحة التي لا يقوم بها غيره، من الحفظ الكامل، والعلم بجميع الجهات المتعلقة بهذه الخزائن، من حسن الاستخراج، وحسن التصريف، وإقامة العدل الكامل، فهو لما رأى الملك استخلصه لنفسه، وجعله مقدما عليه، وفي المحل العالي، وجب عليه أيضاً النصيحة التامة للملك، والرعية، وهي متعينة في ولايته، ولهذا لما تولى خزائن الأرض سعى في تقوية الزراعة جداً»[2].

وقال ابن القيم رحمه الله: «والفرق بين حب الرئاسة وحب الإمارة للدعوة إلى الله هو: الفرق بين تعظيم أمر الله والنصح له، وتعظيم النفس والسعي في حظها، فإن الناصح لله المعظم له المحب له يحب أن يطاع ربه فلا يعصى، وأن تكون كلمته هي العليا، وأن يكون الدين كله لله، وأن يكون العباد ممتثلين أوامره مجتنبين نواهيه، فقد ناصح الله في عبوديته، وناصح خلقه في الدعوة إلى الله، فهو يحب الإمامة في الدين، بل يسأل ربه أن يجعله للمتقين إماما، يقتدي به المتقون، كما اقتدى هو بالمتقين، ... وهذا بخلاف طلب الرئاسة، فإن طلابها

(١) بهجة قلوب الأبرار (ص١٠٥-١٠٦).

(٢) بهجة قلوب الأبرار (ص١٠٦).

يسعون في تحصيلها؛ لينالوا بها أغراضهم من العلو في الأرض، وتعبيد القلوب لهم، وميلها إليهم، ومساعدتهم لهم على جميع أغراضهم، مع كونهم عالين عليهم، قاهرين لهم، فترتب على هذا المطلب من المفاسد ما لا يعلمه إلا الله، من البغي، والحسد، والطغيان، والحقد، والظلم، والفتنة، والحمية للنفس دون حق الله، وتعظيم من حقره الله، واحتقار من أكرمه الله، ولا تتم الرئاسة الدنيوية إلا بذلك، ولا تنال إلا به، وبأضعافه من المفاسد»[1].

❊ ❊ ❊

(١) الروح (ص٢٥٢-٢٥٣).

صور وأحوال حب الرئاسة

للرئاسة صورتان باعتبار الأمر المترأس فيه:

الصورة الأولى: الرئاسة الدنيوية.

والصورة الثانية: الرئاسة العلمية الدينية.

قال ابن رجب رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «والحرص على الشرف على قسمين: أحدهما: طلب الشرف بالولاية والسلطان والمال، وهذا خطر جداً، وهو في الغالب يمنع خير الآخرة وشرفها وكرامتها وعزَّها، قال تعالى: ﴿تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [القصص: ٨٣]»[1].

ثم قال: «القسم الثاني: طلب الشرف والعلو على الناس بالأمور الدينية، كالعلم، والعمل، والزهد، فهذا أفحش من الأول وأقبح، وأشَدّ فساداً وخطراً؛ فإن العلم، والعمل، والزهد، إنما يطلب به ما عند الله من الدرجات العلى، والنعيم المقيم، والقرب منه، والزلفى لديه.

قال الثوري: إنما فُضِّلَ العلم لأنه يُتَّقَى به الله، وإلّا كان كسائر الأشياء.

فإذا طُلِبَ بشيء من هذا عَرَضَ الدنيا الفاني، فهو أيضاً نوعان:

أحدهما: أن يُطلب به المال، فهذا من نوع الحرص على المال وطلبه بالأسباب المحرمة.

النوع الثاني: من يطلب بالعلم والعمل والزهد الرئاسة على الخلق والتعاظم عليهم، وأن ينقاد الخلق ويخضعون له ويصرفون وجوههم إليه، وأن يظهر للناس زيادة علمه على

---

(١) شرح حديث ما ذئبان جائعان (ص٢٩).

العلماء ليعلو به عليهم، ونحو ذلك، فهذا موعده النار؛ لأن قصد التكبر على الخلق محرم في نفسه، فإذا استعمل فيه آلة الآخرة كان أقبح وأفحش من أن يستعمل فيه آلات الدنيا من المال والسلطان.

عن كعب بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مَن طَلَبَ العِلمَ لِيُماريَ بِهِ السُّفَهاءَ، أو يُجاريَ بِهِ العُلَماءَ، أو يَصرِفَ وُجُوهَ النّاسِ إِلَيهِ، أَدخَلَهُ اللهُ النّارَ**»[(١)(٢)].

ولِحُبِّ الرئاسة حالان:

الحالة الأولى: قبل تولي الرئاسة:

فمن الناس من يكون حريصا على الرئاسة، وتبدو عليه مظاهرها وآثارها، ثم قد يتولى، وقد لا يتولى، كما قال تعالى: ﴿مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُۥ جَهَنَّمَ يَصْلَىٰهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا﴾ [الإسراء: ١٨].

والحالة الثانية: بعد تولي الرئاسة:

فالإنسان قد يكون زاهداً في الرئاسة، فإذا تولاها تعلق بها قلبه، وقد يكون متشوفا لها قبل التولي، ثم يزداد تعلقه بها بعد التولي؛ لأنه يجمع بين التعلق، وخوف زوالها.

قال ابن رجب رَحِمَهُ اللَّهُ: «واعلم أن الحرص على الشرف يستلزم ضرراً عظيماً قبل وقوعه في السعي في أسبابه، وبعد وقوعه بالحرص العظيم الذي يقع فيه صاحب الولاية، من الظلم، والتكبر، وغير ذلك من المفاسد»[(٣)].

❊ ❊ ❊

(١) رواه الترمذي (٢٦٥٤)، وحسنه الألباني في صحيح الترمذي.

(٢) شرح حديث ما ذئبان جائعان (ص٤٧-٥٣)، بتصرف يسير.

(٣) شرح حديث ما ذئبان جائعان (ص٣٢).

مظاهر حب الرئاسة

لحب الرئاسة مظاهر كثيرة، ومن أبرزها ما يأتي:

١. منازعة الله عَزَّوَجَلَّ في صفات جلاله، ونعوت كماله:

قال ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فأعظم السيئات: جحود الخالق، والشرك به، وطلب النفس أن تكون شريكة، ونداً له، أو أن تكون إلها من دونه، وكلا هذين وقع، فإن فرعون طلب أن يكون إلهاً معبوداً دون الله تعالى، وقال: ﴿مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِى﴾ [القصص: ٣٨]، وقال: ﴿أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ [النازعات: ٢٤] وقال لموسى: ﴿لَئِنِ ٱتَّخَذْتَ إِلَٰهًا غَيْرِى لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ ٱلْمَسْجُونِينَ﴾ [الشعراء: ٢٩] واستخف قومه فأطاعوه.

وإبليس يطلب أن يُعبد ويُطاع من دون الله، فيريد أن يُعبد ويُطاع هو، ولا يعبد الله ولا يطاع.

وهذا الذي في فرعون وإبليس هو غاية الظلم والجهل.

وفي نفوس سائر الإنس والجن شعبة من هذا وهذا، إن لم يُعِن الله العبدَ ويهديه، وإلا وقع في بعض ما وقع فيه إبليس وفرعون بحسب الإمكان»[1].

٢. فقدان الإخلاص في العمل:

فطالب الرئاسة غايته الوصول إليها والمحافظة عليها، فيكون ولاؤه وبراؤه، ومنعه وعطاؤه، وحبه وبغضه، من أجلها؛ فيفقد الإخلاص في العمل، فيكون من الهالكين.

---

(١) مجموع الفتاوى (١٤/ ٣٢٣).

٣. لا يعمل إذا لم يُصَدَّر:

فإذا لم يصدر ترك العمل، وبخل بالمشورة المفيدة، بل ربما ترك غيره يفشل؛ ليتصدر هو ويصبح مكانه.

٤. ذِكر الناس بالعيوب، والطعن فيهم:

ما أحب أحد الرياسة إلا أحب ذكر الناس بالنقائص والعيوب؛ ليتميز هو بالكمال، ويكره أن يَذكُرَ الناسُ أحداً عنده بخير، ومَن عشق الرياسة فقد تُودِّع من صلاحه.

٥. ألّا يدل على من هو أفضل منه في الدين أو العلم:

فيحجب فضائل الآخرين، ويكتم أخبارهم؛ حتى لا يستدل الناس عليهم؛ فيتركوه ويذهبوا إلى الأفضل، أو يخشى أن يقارن الناس بينه وبين الأفضل؛ فتنزل مرتبته عندهم.

٦. الحسرة إذا زالت أو أُخذت منه:

فمَن كان ذلك همه وهِجِّيراه تقطعت نفسه كمداً وحسرة عندما تزول رئاسته، وتنتقل لغيره.

٧. التكبر على الخلق وسوء معاملتهم:

قال ابن حبان رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الواجب على من يغشى السلطان وامتُحِنَ بصحبته: أن لا يعد شتمه شتماً، ولا إغلاظه إغلاظاً، ولا التقصير في حقه ذنبا، لأن ريح العزة بسطت لسانه ويده بالغلظة»[1].

وقال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «كثير من الناس يطلب من صاحبه بعد نيله درجة الرئاسة الأخلاق التي كان يعامله بها قبل الرئاسة، فلا يصادفها فينتقض ما بينهما من المودة، وهذا من جهل الصاحب الطالب للعادة، وهو بمنزلة من يطلب من صاحبه إذا سكر أخلاق الصاحي، وذلك غلط؛ فإن للرياسة سكرة كسكرة الخمر أو أشد، ولو لم يكن للرياسة سكرة لما اختارها صاحبها على الآخرة الدائمة الباقية، فسكرتها فوق سكرة القهوة بكثير، ومحال أن يرى من السكران أخلاق الصاحي وطبعه، ولهذا أمر الله تعالى أكرم خلقه عليه

---

(١) روضة العقلاء ونزهة الفضلاء (ص٢٧٦).

بمخاطبة رئيس القبط بالخطاب اللين، فمخاطبة الرؤساء بالقول اللين أمر مطلوب شرعا وعقلا وعرفا، ولذلك تجد الناس كالمفطورين عليه»[١].

٨. عدم التوفيق في الولاية التي يتولاها:

قال ابن رجب رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وَقَلَّ مَن يحرص على رياسة الدنيا بطلب الولايات فَيُوَفَّق، بل يوكل إلى نفسه، كما قال النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لعبد الرحمن بن سمرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: «يا عَبدالرَّحمَنِ، لا تَسأَلِ الإمارَةَ؛ فَإِنَّكَ إِن أُوتِيتَها عَن مَسأَلَةٍ وُكِلتَ إِلَيها، وَإِن أُوتِيتَها مِن غَيرِ مَسأَلَةٍ أُعِنتَ عَلَيها»[٢].

وكان يزيد بن عبد الله بن موهب من قضاة العدل والصالحين، وكان يقول: «من أحب المال والشرف وخاف الدوائر لم يعدل فيها».

عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ عن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**إِنَّكُم سَتَحرِصُونَ عَلَى الإِمارَةِ، وَسَتَكُونُ نَدامَةً يَومَ القِيامَةِ، فَنِعمَتِ المُرضِعَةُ، وَبِئسَتِ الفاطِمَةُ**»[٣][٤].

٩. موالاة الكفار والمشركين:

وهذا أمر معلوم في التاريخ، فقد كان يفعله ملوك الطوائف في الأندلس، وكذلك تجد في هذه الأزمان بعض الناس يوالي الكفار؛ لينال منصبا في منظمة من منظماتهم، أو يحصل على شهادة من إحدى جامعاتهم، أو جائزة من جوائزهم العالمية.

١٠. عدم قبول الحق والرجوع إليه، مما يوقع في البدعة والضلال:

قال أبو العتاهية:

أُخَيَّ مَن عَشَقَ الرياسةَ خفتُ أن ... يطغى ويحدثَ بدعةً وضلالا

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الرئاسة والمأكلة من جملة الأسباب المانعة لهم من الدخول في

---

(١) بدائع الفوائد (٣/ ٦٥٢).

(٢) رواه البخاري (٧١٤٧)، ومسلم (١٦٥٢).

(٣) رواه البخاري (٧١٤٨).

(٤) شرح حديث ما ذئبان جائعان (ص٢٩).

الديـن، وقـد ناظرنا نحن وغيرنا جماعة منهم، فلما تبين لبعضهم فسـاد ما هم عليه قالوا: لو دخلنـا في الإسـلام لكنا من أقلّ المسـلمين، لا يؤبه لنا، ونحن متحكمـون في أهل ملتنا، في أموالهـم ومناصبهـم، ولنا بينهم أعظـم الجاه، وهل منع فرعونَ وقومَه من اتباع موسـى إلا ذلك؟!»[١].

وقـال أيضـاً: «ولم يزل في الناس من يختـار الباطل، ومنهم من يختـاره جهلا وتقليدا لمن يحسـن الظـن به، ومنهم مـن يختاره مع علمه ببطلانـه كبرا وعلوا، ومنهم مـن يختاره طمعا ورغبة في مأكل أو جاه أو رياسـة، ومنهم من يختاره حسـدا وبغيا، ومنهم من يختاره محبة في صورة وعشقا، ومنهم من يختاره خشية، ومنهم من يختاره راحة ودعة، فلم تنحصر أسباب اختيار الكفر في حب الرئاسة والمأكلة»[٢].

١١. التقرب إلى السلاطين ومجالستهم:

قـال ابـن رجـب رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ومن أعظم ما يُخشـى عـلى من دخل عـلى الملـوك الظلمة: أن يُصَدِّقَهُـم بكذبهم، ويعينهم على ظلمهم، ولو بالسـكوت عن الإنكار عليهم، فإنَّ من يريد بدخولـه عليهـم الشرف والرياسـة وهو حريـص عليهما لا يُقـدِمُ على الإنـكار عليهم، بل ربما حَسَّـنَ لهم بعض أفعالهم القبيحة تقرباً إليهم؛ ليحسـن موقفه عندهم، ويسـاعدوه على غرضه.

عن كعب بن عجرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ عن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**سَيَكُونُ بَعدِي أُمَراءُ، فَمَن دَخَلَ عَلَيهِم فَصَدَّقَهُم بِكَذِبِهِم، وَأَعانَهُم عَلَى ظُلمِهِم، فَلَيسَ مِنِّي، وَلَستُ مِنهُ، وَلَيسَ بِوارِدٍ عَلَيَّ الحَوضَ، وَمَن لَم يَدخُل عَلَيهِم، وَلَم يُعِنهُم عَلَى ظُلمِهِم، وَلَم يُصَدِّقهُم بِكَذِبِهِم فَهُوَ مِنِّي، وَأَنا مِنهُ، وَهُوَ وارِدٌ عَلَيَّ الحَوضَ**»[٣].

وكان كثير من السلف ينهون عن الدخول على الملوك، لمن أراد أمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر أيضاً.

---

(١) هداية الحيارى (١/ ٢٤٤).

(٢) هداية الحيارى (١/ ٢٥٦) بتصرف يسير.

(٣) رواه الترمذي (٢٢٥٩) وقال: هذا حديث صحيح غريب، وصححه الألباني.

وممن نهى عن ذلك: عمر بن عبد العزيز، وابن المبارك، والثوري، وغيرهم من الأئمة.

وقال ابن المبارك: «ليس الآمر الناهي عندنا من دخل عليهم فأمرهم ونهاهم، إنما الآمر الناهي من اعتزلهم».

وسبب هذا: ما يُخشى من فتنة الدخول عليهم، فإنَّ النفس قد تخيل للإنسان إذا كان بعيداً أنه يأمرهم وينهاهم ويغلظ عليهم، فإذا شاهدهم قريبا مالت النفس إليهم، لأن محبة الشرف كامنة في النفس، ولذلك يداهنهم ويلاطفهم، وربما مال إليهم وأحبهم، ولاسيما إن لاطفوه وأكرموه وقَبِل ذلك منهم، وقد جرى ذلك لعبد الله بن طاووس مع بعض الأمراء بحضرة أبيه طاووس، فَوَبَّخَهُ طاووس على فعله ذلك.

وكتب سفيان الثوري إلى عَبّاد بن عَبّاد رحمهما الله، وكان في كتابه: «إياك والأمراء أن تدنو منهم، أو تخالطهم في شيء من الأشياء، وإياك أن تُخدع، ويقال لك لتشفع، وتدرأ عن مظلوم، أو ترد مظلمة، فإن ذلك خديعة إبليس، وإنَّما اتخذها فُجّارُ القراء سُلَّماً، وما كفيت عن المسألة والفتيا فاغتنم ذلك ولا تنافسهم، وإياك أن تكون ممن يحب أن يُعمَلَ بقوله، أو يُنشَرَ قوله، أو يُسمَعَ قوله، فإذا تُرِكَ ذلك منه عُرِفَ فيه، وإياك وحبَّ الرئاسة، فإنَّ الرجل يكون حب الرئاسة أحب إليه من الذهب والفضة، وهو باب غامض لا يبصره إلا البصير من العلماء السماسرة، فَتَفَقَّد بقلب، واعمل بنية، واعلم أنه قد دنا من الناس أمرٌ يشتهي الرجل أن يموت، والسلام»[1].

وقال وهب بن منبه رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «إنّ جمع المال وغشيان السلطان لا يبقيان من حسنات المرء إلا كما يُبقِي ذئبان جائعان ضاريان سقطا في حظار فيه غنم، فباتا يجوسان حتى أصبحا»[2].

وقال أبو حازم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «العلماء كانوا يفرُّون من السلطان ويطلبهم، وإنهم اليوم يأتون أبواب السلطان، والسلطان يفر منهم»[3].

---

(١) شرح حديث ما ذئبان جائعان (ص٦٤-٦٨).

(٢) جامع بيان العلم (١/ ٢٠٢).

(٣) جامع بيان العلم (١/ ١٩٩).

١٢. حب الشهرة:

قال ابن رجب رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ومِن هذا الباب أيضاً: [يعني: من يطلب الرئاسة بالعلم والعمل] كراهة أن يُشهِرَ الإنسان نفسه بالعلم والزهد والدين، أو بإظهار الأعمال والأقوال والكرامات؛ ليُزار، وتلتمس بركته، ودعاؤه، وتقبل يده، وهو محب لذلك، ويقيم عليه، ويفرح به، ويسعى في أسبابه.

ومِن هنا كان السلف الصالح يكرهون الشهرة غاية الكراهة، منهم أيوب، والنخعي، وسفيان، وأحمد، وغيرهم من العلماء الربانيين، وكذلك الفضيل، وداود الطائي، وغيرهما من الزهاد والعارفين، وكانوا يَذُمُّونَ أنفسهم غاية الذم، ويسترون أعمالهم غاية الستر»[1].

١٣. محبة مدح الناس وثناؤهم:

قال ابن رجب رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ومن هذا الباب أيضاً: أن يحب ذو الشرف والولاية أن يحمد على أفعاله، ويثنى عليه بها، ويطلب من الناس ذلك، ويتسبب في أذى من لا يجيبه إليه، وربما كان ذلك الفعل إلى الذم أقرب منه إلى المدح، وربما أظهر أمراً حسناً في الظاهر، وأحب المدح عليه، وقصد به في الباطن شراً، وفرح بتمويه ذلك وترويجه على الخلق، وهذا يدخل في قوله تعالى: ﴿لَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَآ أَتَوا۟ وَّيُحِبُّونَ أَن يُحْمَدُوا۟ بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا۟ فَلَا تَحْسَبَنَّهُم بِمَفَازَةٍ مِّنَ ٱلْعَذَابِ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [آل عمران: ١٨٨].

فإنَّ هذه الآية إنما أُنزلت فيمن هذه صفاته، وهذا الوصف -أعني طلب المدح من الخلق، ومحبته، والعقوبة على تركه - لا يصلح إلا لله وحده لا شريك له، ومِن هنا كان أئمة الهدى ينهون عن حمدهم على أعمالهم، وما يصدر منهم من الإحسان إلى الخلق، ويأمرون بإضافة الحمد على ذلك لله وحده لا شريك له، فإنَّ النعم كلها منه.

وكان عمر بن عبد العزيز شديد العناية بذلك، وكتب مرة إلى أهل الموسم كتاباً يُقرأُ عليهم، وفيه الأمر بالإحسان إليهم، وإزالة المظالم التي كانت عليهم، وفي الكتاب: «ولا تحمدوا على ذلك كله إلاّ الله، فإنه لو وكلني إلى نفسي كنت كغيري».

---

(١) شرح حديث ما ذئبان جائعان (ص٦٨).

وحكايته مع المرأة التي طلبت منه أن يفرض لبناتها اليتامى مشهورة، فإنَّها كانت لها أربع بنات، ففرض لاثنتين منهن، وهي تحمد الله، ثم فرض للثالثة، فشكرته، فقال: «إنما كنا نفرض لهن حيث كنت تولين الحمد أهله، فمُري هؤلاء الثلاث يواسين الرابعة»، أراد أن يُعرَف أن ذا الولاية إنما هو مُنتَصِبٌ لتنفيذ أمر الله، وآمرٌ العباد بطاعته تعالى، وناهٍ لهم عن محارم الله، ناصح لعباد الله بدعائهم إلى الله، فهو يقصد أن يكون الدين كله لله، وأن تكون العزة لله، وهو مع ذلك خائف من التقصير في حقوق الله تعالى أيضاً»[1].

١٤. الكذب والقول على الله بغير علم:

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «كل من آثر الدنيا من أهل العلم واستحبها؛ فلابد أن يقول على الله غير الحق في فتواه وحكمه، وفي خبره وإلزامه؛ لأن أحكام الرب سبحانه كثيرا ما تأتي على خلاف أغراض الناس، ولاسيما أهل الرئاسة والذين يتبعون الشهوات، فإنهم لا تتم لهم أغراضهم إلا بمخالفة الحق ودفعه كثيرا، فإذا كان العالم والحاكم مُحِبَّينِ للرياسة مُتَّبِعَينِ للشهوات لم يتم لهما ذلك إلا بدفع ما يضاده من الحق، ولا سيما إذا قامت له شبهة، فتتفق الشبهة والشهوة، ويثور الهوى، فيخفى الصواب، وينطمس وجه الحق، وإن كان الحق ظاهرا لا خفاء به، ولا شبهة فيه، أقدم على مخالفته، وقال: لي مخرج بالتوبة! وفي هؤلاء وأشباههم قال تعالى: ﴿فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٌ أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُواْ ٱلشَّهَوَٰتِۖ فَسَوۡفَ يَلۡقَوۡنَ غَيّٗا﴾ [مريم: ٥٩]، وقال تعالى فيهم أيضاً: ﴿فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٞ وَرِثُواْ ٱلۡكِتَٰبَ يَأۡخُذُونَ عَرَضَ هَٰذَا ٱلۡأَدۡنَىٰ وَيَقُولُونَ سَيُغۡفَرُ لَنَا وَإِن يَأۡتِهِمۡ عَرَضٞ مِّثۡلُهُۥ يَأۡخُذُوهُۚ أَلَمۡ يُؤۡخَذۡ عَلَيۡهِم مِّيثَٰقُ ٱلۡكِتَٰبِ أَن لَّا يَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّ وَدَرَسُواْ مَا فِيهِۗ وَٱلدَّارُ ٱلۡأٓخِرَةُ خَيۡرٞ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَۖ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ﴾ [الأعراف: ١٦٩].

فأخبر سبحانه أنهم أخذوا العرض الأدنى مع علمهم بتحريمه عليهم، وقالوا: سيغفر لنا، وإن عرض لهم عرض آخر أخذوه، فهم مصرون على ذلك، وذلك هو الحامل لهم على أن يقولوا على الله غير الحق، فيقولون: هذا حكمه وشرعه ودينه، وهم يعلمون أن دينه وشرعه وحكمه خلاف ذلك، أولا يعلمون أن ذلك دينه وشرعه وحكمه، فتارة يقولون

(١) شرح حديث ماذئبان جائعان (ص٤١-٤٣).

عـلى الله ما لا يعلمون، وتارة يقولـون عليه ما يعلمون بطلانه، وأما الذين يتقون: فيعلمون أن الدار الآخرة خير من الدنيا، فلا يحملهم حب الرئاسة والشهوة على أن يؤثروا الدنيا على الآخرة، وطريق ذلك أن يتمسكوا بالكتاب والسنة، ويستعينوا بالصبر والصلاة، ويتفكروا في الدنيا وزوالها وخستها، والآخرة وإقبالها ودوامها.

وهؤلاء لابد أن يبتدعوا في الدين مع الفجور في العمل، فيجتمع لهم الأمران، فإنّ اتباع الهوى يعمى عين القلب، فلا يميز بين السـنة والبدعة، أو ينكسه، فيرى البدعة سنة والسنة بدعة، فهذه آفة العلماء، إذا آثروا الدنيا، واتبعوا الرياسـات والشهوات، وهذه الآيات فيهم إلى قولـه: ﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱلَّذِىٓ ءَاتَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ﴿١٧٥﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَٰهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخْلَدَ إِلَى ٱلْأَرْضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ﴾ [الأعراف: ١٧٥-١٧٦] فهذا مثل عالم السوء الذي يعمل بخلاف علمه»[(١)].

وقال ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وتعمد الكذب له أسباب: ...» وذكر منها: حب الرئاسة [(٢)].

١٥. قسوة القلب، وتعلقه بغير الله، والانشغال عن ذكره:

قـال ابـن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وأقل ما في حبها -يعنـي الدنيا-: أنه يُلهِي عن حب الله وذكره، ومن ألهاه ماله عن ذكر الله فهو من الخاسرين، وإذا لها القلب عن ذكر الله سـكنه الشـيطان، وصرفه حيث أراد»[(٣)].

١٦. الشحناء وتفرق الصف:

حيث إن كل راغب في الرئاسة يتهم الآخر بأنه عاجز وقاصر، ويسعى لإقصائه وإبعاده، فيقع التنازع، فيحصل الفشل ﴿وَلَا تَنَٰزَعُوا۟ فَتَفْشَلُوا۟ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾ [الأنفال: ٤٦].

* * *

(١) الفوائد (ص١٠٠).

(٢) مجموع الفتاوى (١٨/ ٤٦).

(٣) عدة الصابرين (ص١٨٦).

أسباب حب الرئاسة

من حكمة الله تعالى وتدبيره أنه ربط المسببات بأسبابها، فما من سلوك إلا وله سبب، علمه من علمه، وجهله من جهله، ومن ذلك مرض حب الرئاسة، ومن أبرز مسبباته ما يلي:

١. التحرر من سلطة الآخرين:

فالساعي للرئاسة لا يريد أن يكون فوقه أحد، بل يرغب أن يكون وحده الآمر والناهي للجميع، ولذا تراه يوجه الصغير والكبير، والشريف والوضيع، والذكر والأنثى، ويتدخل في كل صغيرة وكبيرة، مما لا شأن له به.

٢. موافقتها لرغبة النفس وشهوتها التي جُبلت عليها:

فالإنسان يحب أن يكون آمرا ناهيا، لا مأمورا منهيا، ويحب أن يعلو على الناس، وأن يُثنَى عليه، وغير ذلك من الأمور التي تلتصق بالرئاسة.

قال سفيان الثوري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ما رأيت الزهد في شيء أقل منه في الرئاسة، ترى الرجل يزهد في المطعم والمشرب والمال والثياب، فإن نوزع الرئاسة حامى عليها وعادى»[(١)].

وقال يوسف بن أسباط رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الزهد في الرياسة أشد من الزهد في الدنيا»[(٢)].

قال ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «النفس مشحونة بحب العلو والرئاسة بحسب إمكانها»[(٣)].

---

(١) حلية الأولياء (٧/ ٣٩).

(٢) حلية الأولياء (٨/ ٢٣٨).

(٣) مجموع الفتاوى (٨/ ٢١٨).

قال ابن حبان رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وأنشدني المنتصر بن بلال:

بـلاءُ النـاسِ مُـذ كانـوا إلى أن تـأتيَ الساعة
بِحُـبِّ الأمـرِ والنهـيِ وحـبِّ السـمعِ والطاعـة[1]

٣. ضعف الإيمان:

فـراغ القلـب من الإيـمان أو ضعفه سـبب للتطلع لشـهوات الدنيا، والتـي من أعظمها الرياسـة، وأما من امتلأ قلبه بالإيمان أو قارب فإنه معرض عن عرض الدنيا الفاني، وليس له همّ ولا شغل إلا في الدار الآخرة، قال تعالى: ﴿تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا ۚ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [القصص: ٨٣].

قال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أي: ليس لهم إرادة، فكيف العمل للعلو في الأرض على عباد الله، والتكبر عليهم، وعلى الحق»[2].

٤. عدم استشعار خطورة حمل الأمانة:

قـال تعـالى: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾ [الأحزاب: ٧٢].

عن أبي أمامة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: قال النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**ما مِن رَجُلٍ يَلِي أَمرَ عَشَرَةٍ فَما فَوقَ ذَلِكَ إِلّا أَتَى اللهَ عَـزَّ وَجَلَّ مَغلُولاً يَومَ القِيامَةِ، يَدُهُ إِلى عُنُقِهِ، فَكَّهُ بِرُّهُ، أَو أَوبَقَهُ إِثمُهُ، أَوَّلُها مَلامَةٌ، وَأَوسَطُها نَدامَةٌ، وَآخِرُها خِزيٌ يَومَ القِيامَةِ**»[3].

٥. الشعور باللذة الوهمية:

قـال ابـن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ومن السـكر أيضـاً: ما يكون بحب الرئاسـة، والمال، أو شـفاء الغيـظ، فإنـه إذا قوى ذلك أوجب سـكرا، وإنما كانت هذه الأشـياء قد توجب سـكرا لأن

---

(١) روضة العقلاء ونزهة الفضلاء (ص٢٧٣).

(٢) تفسير السعدي (ص٦٢٤).

(٣) رواه أحمد (٢١٧٩٧)، وقال الألباني: «إسناده جيد» كما في السلسلة الصحيحة (٣٤٩).

السكر شبيه ما يوجب اللذة القاهرة التي تغمر العقل، وسبب اللذة إدراك المحبوب، فإذا كانت المحبة قوية، وإدراك المحب قويا، والعقل والتمييز ضعيفا؛ كان ذلك سببا للسكر، لكن ضعف العقل تارة يكون من ضعف نفس الإنسان المحب، وتارة يكون من قوة السبب الوارد، ولهذا يحصل من السكر للمبتدئين في إدراك الرئاسة والمال والعشق والخمر، ما لا يحصل لمن اعتاد ذلك، وتمكن فيه»[١].

٦. حب الدنيا:

قال عبد الله بن أبي صالح: قال عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ: «يا معشر القراء والعلماء! كيف تضلون بعد علمكم، أو تعمون بعد بصركم، من أجل دنيا دنية، وشهوة ردية؟ فلكم الويل منها، ولها الويل منكم»[٢].

وقال ابن رجب رَحِمَهُ اللَّهُ: «وأصل محبة المال والشرف: حب الدنيا، وأصل حب الدنيا: اتباع الهوى.

قال وهب بن منبه: «مِن اتباع الهوى الرغبة في الدنيا، ومن الرغبة فيها حب المال والشرف، ومن حب المال والشرف استحلال المحارم».

... وإنما تحصل الرغبة في الدنيا من اتباع المال والهوى؛ لأن الهوى داع إلى الرغبة في الدنيا وحب المال والشرف فيها، والتقوى تمنع من اتباع الهوى، وتردع عن حب الدنيا.

قال الله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَن طَغَىٰ ﴿٣٧﴾ وَءَاثَرَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿٣٨﴾ فَإِنَّ ٱلْجَحِيمَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٤١﴾﴾ [النازعات: ٣٧-٤١].

وقد وصف الله تعالى أهل النار بالمال والسلطان في مواضعَ من كتابه، فقال تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ بِشِمَالِهِۦ فَيَقُولُ يَٰلَيْتَنِى لَمْ أُوتَ كِتَٰبِيَهْ ﴿٢٥﴾ وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ ﴿٢٦﴾ يَٰلَيْتَهَا كَانَتِ ٱلْقَاضِيَةَ ﴿٢٧﴾ مَآ أَغْنَىٰ عَنِّى مَالِيَهْ ﴿٢٨﴾ هَلَكَ عَنِّى سُلْطَٰنِيَهْ﴾ [الحاقة: ٢٥-٢٩]»[٣].

---

(١) الاستقامة (٢/ ١٤٦).

(٢) جامع بيان العلم (١/ ٢٣٣).

(٣) شرح حديث ما ذئبان جائعان (ص٧١).

وقال إسحاق بن خلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الورع في المنطق أشد منه في الذهب والفضة، والزهد في الرئاسة أشد منه في الذهب والفضة؛ لأنهما يبذلان في طلب الرئاسة»[١].

٧. العجب بالنفس:

عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**ثَلاثٌ مُهلِكاتٌ، وَثَلاثٌ مُنَجِّياتٍ، وَثَلاثٌ كَفّاراتٌ، وَثَلاثٌ دَرَجاتٌ، فَأَمّا المُهلِكاتُ: فَشُحٌّ مُطاعٌ، وَهَوًى مُتَّبَعٌ، وَإِعجابُ المَرءِ بنفسِهِ. وَأَمّا المُنَجِّياتُ: فالعَدلُ في الغَضَبِ والرِّضا، والقَصدُ في الفَقرِ والغِنَى، وَخَشيَةُ الله في السِّرِّ والعَلانِيَةِ**»[٢].

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وللقلب أمراض أُخَر، من الرياء، والكبر، والعجب، والحسد، والفخر، والخيلاء، وحب الرئاسة، والعلو في الأرض، وهذا المرض مركب من مرض الشبهة، والشهوة، فإنه لابد فيه من تخيل فاسد، وإرادة باطلة، كالعجب، والفخر، والخيلاء، والكبر المركب من تخيل عظمته، وفضله، وإرادة تعظيم الخلق له، ومحمدتهم، فلا يخرج مرضه عن شهوة، أو شبهة، أو مركب منهما، وهذه الأمراض كلها متولدة عن الجهل، ودواؤها العلم»[٣].

❊ ❊ ❊

(١) مدارج السالكين (٢/ ٢٢).

(٢) رواه الطبراني في الأوسط (٥٧٥٤)، وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٣٠٤٥).

(٣) مفتاح دار السعادة (١/ ١١١).

علاج حب الرئاسة

من عظيم رحمة الله تعالى بعباده: أنه ما أنزل من داء إلا وأنزل له دواءً، ومن ذلك: مرض حب الرئاسة، ومن أعظم أدويته ما يأتي:

١. العناية بتحقيق الإخلاص:

قال ابن رجب رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «كتب وهب بن منبه إلى مكحول: «أما بعد: فإنك أصبت بظاهر علمك عند الناس شرفاً ومنزلة، فاطلب بباطن علمك عند الله منزلة وزلفى، واعلم أن إحدى المنزلتين تمنع من الأخرى».

ومعنى هذا: أن العلم الظاهر من تَعَلُّم الشرائع، والأحكام، والفتاوى، والقصص، والوعظ، ونحو ذلك مما يظهر للناس؛ يحصل به لصاحبه عندهم منزلةً، وشرفاً، والعلم الباطن المودع في القلوب، من معرفة الله، وخشيته، ومحبته، ومراقبته، والأنس به، والشوق إلى لقائه، والتوكل عليه، والرضا بقضائه، والإعراض عن عرض الدنيا الفاني، والإقبال على جوهر الآخرة الباقي، كل هذا يوجب لصاحبه عند الله منزلةً، وزلفى، وإحدى المنزلتين تمنع من الأخرى، فمن وقف مع منزلته عند الخلق، واشتغل بما حصل له عندهم بالعلم الظاهر من شرف الدنيا، وكان همه حفظ هذه المنزلة عند الخلق، وملازمتها، وتربيتها، والخوف من زوالها: كان ذلك حظه من الله تعالى، وانقطع به عنه، فهو كما قال بعضهم: ويل لمن كان حظه من الله الدنيا»[1].

---

(١) شرح حديث ما ذئبان جائعان (ص٨٠).

٢. أن يُمنع منها إذا طلبها:

عن أبي موسى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: دخلت على النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنا ورجلان من بني عمي، فقال أحد الرجلين: يا رسول الله، أَمِّرنا على بعض ما ولاك الله عَزَّوَجَلَّ، وقال الآخر مثل ذلك، فقال: «**إِنّا والله لا نُوَلِّي عَلَى هَذا العَمَلِ أَحَداً سَأَلَهُ، وَلا أَحَداً حَرَصَ عَلَيهِ**»(١).

٣. الاستشارة:

وتنفع الاستشارة هاهنا في موضعين:

الموضع الأول: عند عرض الولاية على العبد أو تكليفه بها، فيستشير أهل النصح والصدق، هل هو أهل لها، أم لا؟

وقد جاء عن أبي ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه قال: قلت: يا رسول الله، ألا تستعملني؟ فضرب بيده على منكبي ثم قال: «**يا أَبا ذَرٍّ إِنَّكَ ضَعِيفٌ، وَإِنَّها أَمانَةٌ، وَإِنَّها يَومَ القِيامَةِ خِزيٌ وَنَدامَةٌ، إِلّا مَن أَخَذَها بِحَقِّها، وَأَدَّى الَّذِي عَلَيهِ فيها**»(٢).

وفي رواية قال لي رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**يا أَبا ذَرٍّ، إِنِّي أَراكَ ضَعِيفاً، وَإِنِّي أُحِبُّ لَكَ ما أُحِبُّ لِنَفسِي، لا تَأَمَّرَنَّ عَلَى اثنَينِ، وَلا تَوَلَّيَنَّ مالَ يَتِيمٍ**»(٣).

قال ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: «نَهَى أبا ذر عن الإمارة والولاية؛ لأنه رآه ضعيفا، مع أنه قد روي: «ما أظلت الخضراء، ولا أقلت الغبراء، أصدق لهجة من أبي ذر»(٤)(٥).

الموضع الثاني: الاستشارة بعد تولي الولاية؛ لئلا يستبدّ بالأمر؛ وليصقل رأيه، قال تعالى: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي ٱلْأَمْرِ﴾ [آل عمران: ١٥٩].

---

(١) رواه البخاري (٧١٤٩)، ومسلم (٣٤٠٢).

(٢) رواه مسلم (١٨٢٥).

(٣) رواه مسلم (١٨٢٦).

(٤) رواه الترمذي (٣٨٠١)، وصححه الألباني.

(٥) السياسة الشرعية (ص١٦).

٤. تذكر الآثار السيئة التي تترتب على الرئاسة:

قال ابن حبان رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «رؤساء القوم أعظمهم هموما، وأدومهم غموما، وأشغلهم قلوبا، وأشهرهم عيوبا، وأكثرهم عدوا، وأشدهم أحزانا، وأنكاهم أشجانا، وأكثرهم في القيامة حسابا، وأشدهم - إن لم يعف الله عنهم - عذابا»[١].

وقال ابن رجب رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وأما العلو الفاني المنقطع الذي يعقب صاحبه غداً حسرةً وندامةً وذلةً وهواناً وصغاراً، فهو الذي يُشرع الزهد فيه والإعراض عنه.

وللزهد فيه أسباب عديدة، فمنها: نظرُ العبد إلى سوء عاقبة الشرف في الدنيا، بالولاية والإمارة لمن لا يؤدي حقها في الآخرة، ومنها نظر العبد إلى عقوبة الظالمين والمتكبرين، ومن ينازع الله رداء الكبرياء.

عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ عن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قال: «**يُحشَرُ المُتكَبِّرُونَ يومَ القِيامَةِ أَمثالَ الذَّرِّ في صُوَرِ الرِّجالِ، يَغشاهُمُ الذُّلُّ مِن كُلِّ مَكانٍ، فَيُساقُونَ إلى سِجنٍ في جَهَنَّمَ يُسَمَّى بُولَس، تَعلُوهُم نارُ الأَنيار، يُسقَونَ مِن عُصارَةِ أَهلِ النّار، طِينَةِ الخَبالِ**»[٢].

واستأذن رجل عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ في القصص على الناس فقال له: إني أخاف أن تقص عليهم فتترفع عليهم في نفسك، حتى يضعك الله تحت أرجلهم يوم القيامة»[٣].

وقال ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وكذلك طالب الرئاسة والعلو في الأرض، قلبه رقيق لمن يعينه عليها، ولو كان في الظاهر مقدمهم والمطاع فيهم، فهو في الحقيقة يرجوهم ويخافهم، فيبذل لهم الأموال والولايات، ويعفو عنهم ليطيعوه ويعينوه، فهو في الظاهر رئيس مطاع، وفي الحقيقة عبد مطيع لهم.

والتحقيق: أن كلاهما فيه عبودية للآخر، وكلاهما تارك لحقيقة عبادة الله، وإذا كان

---

(١) روضة العقلاء ونزهة الفضلاء (ص٢٧٥).

(٢) رواه الترمذي (٢٤٩٢) وقال: حسن صحيح.

(٣) شرح حديث ما ذئبان جائعان (ص٧٣-٧٥).

تعاونهما على العلو في الأرض بغير الحق، كانا بمنزلة المتعاونين على الفاحشة، أو قطع الطريق، فكل واحد من الشخصين لهواه الذي استعبده واسترقه، يستعبده الآخر»[١].

٥. المداومة على محاسبة النفس، والتوبة، والاستغفار:

قال ابن حبان رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الواجب على من ملك أمور المسلمين الرجوع إلى الله عَزَّوَجَلَّ في كل لحظة وطرفة؛ لئلا يطغيه ما هو فيه من تسلطه، بل يذكر عظمة الله وقدرته وسلطانه، وأنه هو المنتقم ممن ظلم، والمجازي لمن أحسن، فيلزم في إمرته السلوك الذي يؤديه إلى اكتساب الخير في الدارين، وليعتبر بمن كان قبله من أشكاله، فإنه لا محالة مسئول عن شكر ما هو فيه، كما هو لا محالة مسئول عن حسابه»[٢].

٦. الاشتغال بالعلم، وعدم الانقطاع عنه:

عن عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أنه قال: «تفقهوا قبل أن تُسَوَّدُوا»، قال البخاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وبعد أن تسودوا، وقد تعلم أصحاب النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في كبر سنهم»[٣].

وقال حسن بن منصور الجصاص رَحِمَهُ ٱللَّهُ: قلت لأحمد بن حنبل: إلى متى يكتب الرجل؟ قال: «حتى يموت»[٤].

٧. الزهد في الدنيا والتعلق بالآخرة، والمنافسة فيها:

قال ابن رجب رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «واعلم أن النفس تحب الرفعة والعلو على أبناء جنسها، ومن هنا نشأ الكبر والحسد، ولكن العاقل ينافس في العلو الدائم الباقي، الذي فيه رضوان الله، وقربه، وجواره، ويرغب عن العلو الفاني الزائل، الذي يعقبه غضب الله، وسخطه، وانحطاط العبد وسفوله، وبُعدِهِ عن الله، وطرده عنه، فهذا هو العلو الثاني الذي يُذَمُّ، وهو العتو والتكبر في الأرض بغير حق.

---

(١) مجموع الفتاوى (١٠/ ١٨٩).

(٢) روضة العقلاء ونزهة الفضلاء (ص٢٧٧).

(٣) صحيح البخاري (١/ ٣٩).

(٤) طبقات الحنابلة (١/ ١٤٠).

وأما العلو الأول والحرص عليه: فهو محمود، قال الله تعالى: ﴿وَفِي ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَٰفِسُونَ﴾ [المطففين: ٢٦]»[١].

وقال ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وأما الدنيا: فأمرها حقير، وكبيرها صغير، وغاية أمرها يعود إلى الرئاسة والمال، وغاية ذي الرئاسة أن يكون كفرعون الذي أغرقه الله في اليم انتقاماً منه، وغاية ذي المال أن يكون كقارون الذي خسف الله به الأرض، فهو يتجلجل فيها إلى يوم القيامة»[٢].

٨. التفكر فيما يعوض الله عَزَّوَجَلَّ به العبد في الدنيا من اللذة والنعيم إذا أعرض عنها:

قال ابن رجب رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ومنها -وليس هو في قدرة العبد، ولكنه من فضل الله ورحمته- ما يُعَوِّضُ الله عباده العارفين به الزاهدين فيما يفني من المال والشرف، مما يعجله الله لهم في الدنيا من شرف التقوى، وهيبة الخلق لهم في الظاهر، ومن حلاوة المعرفة والإيمان والطاعة في الباطن، وهي الحياة الطيبة التي وعدها الله لمن عمل صالحاً من ذكر أو أنثى وهو مؤمن، وهذه الحياة الطيبة لم يذقها الملوك في الدنيا، ولا أهل الرئاسات والحرص على الشرف، كما قال إبراهيم بن أدهم: لو يعلم الملوك وأبناء الملوك ما نحن فيه لجالدونا عليه بالسيوف»[٣].

٩. أن يكون هم الإنسان خدمة الدين، ونفع الخلق، من أي موقع يكون فيه:

عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**تَعِسَ عَبْدُ الدِّينارِ، وَعَبْدُ الدِّرهَمِ، وَعَبْدُ الخَمِيصَةِ، إِن أُعطِيَ رَضِيَ، وَإِن لَم يُعطَ سَخِطَ، تَعِسَ وانتكَسَ، وَإِذا شِيكَ فَلاَ انتَقَشَ، طُوبَى لِعَبدٍ آخِذٍ بِعِنانِ فَرَسِهِ في سَبِيلِ الله، أَشعَثَ رَأسُهُ، مُغبَرَّةٌ قَدَماهُ، إِن كانَ في الحِراسَةِ كانَ في الحِراسَةِ، وَإِن كانَ في السّاقَةِ كانَ في السّاقَةِ، إِنِ استَأذَنَ لَم يُؤذَن لَهُ، وَإِن شَفَعَ لَم يُشَفَّع**»[٤].

قال ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «إِن كانَ في الحِراسَةِ كانَ في الحِراسَةِ، وَإِن كانَ في السّاقَة كانَ في السّاقَة» التقدير: إن كان المهم في الحراسة كان فيها، ... وقال ابن الجوزي: المعنى أنه خامل

---

(١) شرح حديث ما ذئبان جائعان (ص٧٢).

(٢) مجموع الفتاوى (٢٨/ ٦١٥).

(٣) شرح حديث ما ذئبان جائعان (ص٧٦).

(٤) رواه البخاري (٢٨٨٧).

الذكر، لا يقصد السمو، فإن اتفق له السير سار، فكأنه قال: إن كان في الحراسة استمر فيها، وإن كان في الساقة استمر فيها.

قوله ﷺ: «**إِنِ استَأذَنَ لَم يُؤذَن لَهُ، وَإِن شَفَعَ لَم يُشَفَّع**» فيه ترك حب الرياسة والشهرة، وفضل الخمول والتواضع»[١].

١٠. استشعار قدر مسؤولية الولاية، فهي تكليف، لا تشريف:

عن ابن عمر رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: «**لا يَسترَعِي اللهُ تَبارَكَ وَتَعالَى عَبداً رَعِيَّةً، قَلَّت أَو كَثُرَت، إِلّا سَأَلَهُ اللهُ تَبارَكَ وَتَعالَى عَنها يَومَ القِيامَةِ، أَقامَ فيهِم أَمرَ اللهِ تَبارَكَ وَتَعالَى أَم أَضاعَهُ؟ حَتَّى يَسأَلَهُ عَن أَهلِ بَيتِهِ خاصَّةً**»[٢].

وعن عوف بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**إِن شِئتُم أَنبَأتُكُم عَنِ الإِمارَةِ**» قالوا: وَما هِيَ؟ قال: «**أَوَّلُها مَلامَةٌ، وَثانِيها نَدامَةٌ، وثالِثُها عَذابٌ يَومَ القِيامَةِ، إِلا مَن عَدَلَ**»[٣].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**لَيَتَمَنَّيَنَّ أَقوامٌ وُلُّوا هَذا الأَمرَ، أَنَّهُم خَرُّوا مِن الثُّرَيّا، وَأَنَّهُم لَم يَلُوا شَيئاً**»[٤].

١١. أن يعرف المرء قدر نفسه:

فيعرف هل يستطيع القيام بهذا العمل، وتلك المسئولية، أم لا؟

فإذا عرف من نفسه أنه لا يقدر عليها: فلا يُقدِم.

عن أبي ذر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**يا أَبا ذَرٍّ! إِنِّي أَراكَ ضَعِيفاً، وَإِنِّي أُحِبُّ لَكَ ما أُحِبُّ لِنَفسِي، لا تَأَمَّرَنَّ عَلَى اثنَينِ، وَلا تَوَلَّيَنَّ مالَ يَتِيمٍ**»[٥].

قال القرطبي رحمه الله: «أي ضعيفا عن القيام بما يتعين على الأمير من مراعاة مصالح رعيته

---

(١) فتح الباري (٦/ ٨٣).

(٢) رواه أحمد (٤٦٢٣)، وصححه محققو المسند.

(٣) رواه الطبراني في الأوسط (٦٧٤٧)، وحسنه الألباني في صحيح الجامع (١٤٢٠).

(٤) رواه أحمد (١٠٣٥٩)، وحسنه محققو المسند.

(٥) رواه مسلم (١٨٢٦).

الدنيوية والدينية؛ ووجه ضعفه عن ذلك: أن الغالب عليه كان الزهد واحتقار الدنيا، ومَن هذا حاله لا يعتني بمصالح الدنيا ولا أموالها، اللذين بمراعاتها تنتظم مصالح الدين، ويتم أمره ... فلما علم النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ منه هذه الحالة نصحه ونهاه عن الإمارة، وعن ولاية مال الأيتام»[(١)].

١٢. أن يكثر من حمد الله عَزَّوَجَلَّ، والثناء عليه، ويأمر غيره بذلك:

قال ابن رجب رَحِمَهُ اللَّهُ: «كان خلفاء الرسل وأتباعهم من أُمراء العدل وقضاتهم لا يدعون إلى تعظيم نفوسهم ألبتة، بل إلى تعظيم الله وحده، وإفراده بالعبودية والإلهية، ومنهم من كان لا يريد الولاية إلا للاستعانة بها على الدعوة إلى الله وحده.

وكان بعض الصالحين يتولى القضاء، ويقول: ألا أتولاه لأستعين به على الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر؟!

ولهذا كانت الرسل وأتباعهم يصبرون على الأذى في الدعوة إلى الله، ويتحملون في تنفيذ أوامر الله من الخلق غاية المشقة، وهم صابرون، بل راضون بذلك، فإنَّ المحب ربما يتلذذ بما يصيبه من الأذى في رضى محبوبه، كما كان عبد الملك بن عمر بن عبد العزيز يقول لأبيه في خلافته إذا حرص على تنفيذ الحق وإقامة العدل: يا أبت ! لوددت أني غَلَت بي وبك القدور في الله عَزَّوَجَلَّ»[(٢)].

١٣. أن يبذل جاهه للناس:

وذلك بالشفاعة للمحتاجين، والسعي في قضاء حوائجهم، قال ابن أبي يعلى رَحِمَهُ اللَّهُ: «وقال أبو مزاحم موسى بن عبيد الله بن يحيى بن خاقان: حدثني أبي عن أبيه قال: حضرت الحسن بن سهل، وجاءه رجل يستشفع به في حاجة، فقضاها، فأقبل الرجل يشكره، فقال له الحسن بن سهل: علام تشكرنا؟ نحن نرى أن للجاه زكاة، كما أن للمال زكاة، ثم أنشأ يقول:

فرضت علي زكاة ما ملكت يدي ... وزكاة جاهي أن أعين وأشفعا

فإذا ملكت فجد، فإن لم تستطع ... فاجهد بوسعك كله أن تنفعا[(٣)]

---

(١) حاشية السيوطي على سنن النسائي (٦/ ٢٥٥).

(٢) شرح حديث ما ذئبان جائعان (ص٤٥-٤٦).

(٣) طبقات الحنابلة (١/ ٢٠٤).

١٤. أن يصرف العبد ما جعله الله في قلبه من حب الجاه، في المصرف الصحيح:

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ولِقوة حب الجاه مصرف، وهو استعماله في تنفيذ أوامره، وإقامة دينه، ونصر المظلوم، وإغاثة الضعيف، وقمع أعداء الله، فمحبة الرياسة والجاه على هذا الوجه عبادة»[١].

١٥. القراءة والتأمل في سير السلف الصالح:

فعن عامر بن سعد قال: «كان سعد بن أبي وقاص رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ في إبله، فجاءه ابنه عمر، فلما رآه سعد قال: أعوذ بالله من شر هذا الراكب، فنزل فقال له: أنزلت في إبلك وغنمك، وتركت الناس يتنازعون الملك بينهم؟! فضرب سعد في صدره فقال: اسكت، سمعت رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «**إِنَّ اللهَ يُحِبُّ العَبدَ التَّقِيَّ الغَنِيَّ الخَفِيَّ**»[٢].

قال النووي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «المراد بالغِنى غنى النفس، هذا هو الغنى المحبوب لقوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**وَلَكِنَّ الغِنَى غِنَى النَّفس**» ... وأما «الخَفِيّ» فمعناه: الخامل، المنقطع إلى العبادة والاشتغال بأمور نفسه»[٣].

وقد يعزل أحدهم نفسه، ويتنازل لغيره؛ لمصلحة أعظم، ومن هذا:

ما فعله الحسن بن علي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ من تنازله عن الخلافة لمعاوية رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، ومدحه النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على ذلك.

فعن أبي بَكرَةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: رأيت رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على المنبر والحسن بن علي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ إلى جنبه، وهو يقبل على الناس مرة، وعليه أخرى، ويقول: «**إِنَّ ابني هَذا سَيِّدٌ، وَلَعَلَّ اللهَ أَن يُصلِحَ بِهِ بَينَ فِئَتَينِ عَظِيمَتَينِ مِن المُسلِمِينَ**»[٤].

قال المباركفوري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وهذه معجزة عظيمة من النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ حيث أخبر بهذا، فوقع مثل ما أخبر»[٥].

---

(١) التبيان في أقسام القرآن (ص٢٥٩).

(٢) رواه مسلم (٢٩٦٥).

(٣) شرح النووي على مسلم (١٨/ ١٠٠).

(٤) رواه البخاري (٢٧٠٤).

(٥) تحفة الأحوذي (١٠/ ١٨٩).

وكان أحدهم يمتنع غاية الامتناع عن الولاية، إذا كان هناك من هو أحق منه بها:

كما في قصة تولية أبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ومبايعة الصحابة له، فهي أعظم شاهد على ذلك، فعن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «تكلّم أبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فقال: ...- فذكر الحديث، وفيه-: وقد رضيت لكم أحد هذين الرجلين، فبايعوا أيهما شئتم. فأخذ بيدي وبيد أبي عبيدة بن الجراح وهو جالس بيننا، فلم أكره مما قال غيرها، كان والله أن أُقَدَّمَ فتضرب عنقي لا يقربني ذلك من إثم، أحب إليَّ من أن أتأمَّرَ على قوم فيهم أبو بكر»[1].

ومن ذلك أيضاً:

لما ولي عمر بن عبد العزيز رَحِمَهُ اللَّهُ الخلافة، جاءه صاحب الشرطة؛ ليسير بين يديه بالحربة -على عادته مع الخلفاء قبله-، فقال له عمر: «ما لي ولك؟ تنح عني، إنما أنا رجل من المسلمين!» ثم سار وساروا معه، حتى دخل المسجد، فصعد المنبر، واجتمع الناس إليه، فقال:

«أيها الناس، إني قد ابتليت بهذا الأمر عن غير رأي كان مني فيه، ولا طلبة له، ولا مشورة من المسلمين، وإني قد خلعت ما في أعناقكم من بيعتي، فاختاروا لأنفسكم ولأمركم من تريدون» فصاح المسلمون صيحةً واحدة: قد اخترناك لأنفسنا وأمرنا، ورضينا كلُّنا بك، فقام وخطبهم[2].

وعن فاطمة امرأة عمر بن عبد العزيز، أنها دخلت عليه، فإذا هو في مصلاه، يده على خده، سائلة دموعه، فقالت: يا أمير المؤمنين أَلِشيء حدث؟ قال: «يا فاطمة، إني تقلدت أمر أمة محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فتفكرت في الفقير الجائع، والمريض الضائع، والعاري المجهود، والمظلوم المقهور، والغريب المأسور، والكبير وذي العيال في أقطار الأرض، فعلمت أن ربي سيسألني عنهم، وأن خصمهم دونهم محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فخشيت ألا تثبت لي حجة عند خصومته، فرحمت نفسي، فبكيت»[3].

---

(١) رواه البخاري (٦٨٣٠).

(٢) البداية والنهاية (٩/ ٢٣٨).

(٣) سير أعلام النبلاء (٥/ ١٣١).

١٦. الدعاء:

عـن معقل بن يسـار • قـال: انطلقت مـع أبي بكر الصديـق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إلى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقـال: «**يا أَبا بَكرٍ، لَلشِّركُ فيكُم أخفَى مِن دَبِيبِ النَّملِ**». فقال أبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: وهل الشرك إلا مَـن جعـل مع الله إلهاً آخـر؟ فقال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**والَّـذِي نَفسِي بِيَـدِهِ، لَلشِّركُ فيكُم أخفَـى مِن دَبِيبِ النَّملِ، ألا أدُلُّكَ عَـلَى شَيءٍ إذا فَعلتُهُ ذَهَبَ عَنكَ قَلِيلُهُ وَكَثِيرُهُ؟**» قال: «**قُل اللَّهُمَّ إنِّي أَعُوذُ بِكَ أَن أُشرِكَ بِكَ وَأَنا أَعلَمُ، وَأَستَغفِرُكَ لِما لاَ أَعلَمُ**»[1].

هذا، واللهَ نسـأل أن يوفقنا لأرشـد أمرنا، وأن يجعلنا ممن يعمل بطاعته؛ ابتغاء مرضاته، والحمد لله رب العالمين.

❊ ❊ ❊

(١) رواه البخاري في الأدب المفرد (٧١٦)، وصححه الألباني في صحيح الأدب المفرد.

الخاتمة

من المؤسف حقاً أن نرى كثيراً من الناس يتناحرون فيما بينهم؛ للوصول للرئاسة، ونيل المناصب الرفيعة، والجاه العريض، حتى أصبح الهَمُّ المسيطر على المرء أن يكون هو القائد، أو الإمام، أو الرئيس، بطرق تؤدي غالباً إلى الشقاق بين صفوف المسلمين، وإثارة الفتن والقلاقل بينهم.

وانتشار مرض حب الرئاسة يؤدي بلا شك إلى إهدار الطاقات، وتوسيع دائرة الخلافات، والسعي للمصالح الشخصية، والمنافع الذاتية، وعدم القيام بالدين، وكفى بهذا شراً عظيماً، وفساداً كبيراً، للفرد، والمجتمع، والأمة.

والعصمة من الزلل: في الرجوع الصادق إلى كتاب الله تعالى، وسنة نبيه ﷺ، والسير على نهج السابقين الأولين.

هذا، ونسأل الله تعالى الهدى والسداد، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله، وصحبه أجمعين.

❊ ❊ ❊

اختبر فهمك

بين يديك مستويان من الأسئلة، أسئلة مباشرة، وأخرى تحتاج منك إلى تأمل، وإمعان نظر.

أسئلة المستوى الأول المباشرة:

١. ما هي فوائد الولاية والإمارة؟.

٢. حب الرئاسة داء عُضال، فما هي أبرز مظاهره؟.

٣. ما هي أسباب حب الرئاسة؟.

٤. لكل داء دواء، فما دواء مرض حب الرئاسة؟.

أسئلة المستوى الثاني الاستنباطية:

١. لماذا سُمّي حب الرئاسة بالشهوة الخفية؟.

٢. عن كعب بن مالك الأنصاري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**ما ذِئبانِ جائِعانِ أُرسِلا في غَنَمٍ بِأَفسَدَ لَها مِن حِرصِ المَرءِ عَلَى المالِ والشَّرَفِ لِدِينِهِ**»، ما المقصود بهذا الحديث؟.

٣. كيف يكون حب الرئاسة والدنيا مفسداً للدين؟.

٤. ماذا تفهم من قول يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ لعزيز مصر - كما ذكر الله ذلك عنه في القرآن -: ﴿قَالَ اجْعَلْنِي عَلَىٰ خَزَائِنِ الْأَرْضِ ۖ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ﴾ [يوسف: ٥٥].

٥. متى يُعان الإنسان على الولاية والإمارة؟ مع ذكر الدليل.

٦. متى يكون طلب الرئاسة عبادة، يثاب المرء عليها؟